The ritual of Iraqi Ramadan supplication and the role of the media in spreading and strengthening its cultural identity "O God of the Universe" as a model

Ali Najem Abdullah
Basra and Arabian Gulf Studies Center - University of Basra - Iraq
Email: ali.ziayyir@uobasrah.edu.iq
orcid.org/0000-0002-6781-2703

Research Summary:

This study examines the Ramadan supplicatory chant (Ibtihal) in Iraq as a ritualistic and devotional phenomenon with religious and cultural dimensions. It represents an important component of the chanting heritage associated with the holy month of Ramadan and has contributed to the formation of the collective memory of Iraqi society. The study also investigates the role of Iraqi radio and television in disseminating this chanting tradition and transferring it from its local ritual context to the broader public media sphere, The research adopts the supplication “Ya Ilah al-Kawn Inna Laka Sumna” (O Lord of the Universe, to You we have fasted) as a model to analyze the role of audio-visual media in highlighting the spiritual and aesthetic dimensions of Ramadan supplicatory chants. The study is structured into four chapters. The first chapter addresses the methodological framework, including the research problem, objectives, significance, scope, and terminology. The second chapter presents the theoretical framework through two sections: the Iraqi Ramadan Ibtihal—its concept and cultural rituality—and the role of media in strengthening the cultural identity of Ramadan supplicatory chants. The third chapter is devoted to the analytical framework, which includes the research methodology, research sample, tools, and the analysis of the selected model. The fourth chapter presents the research findings and conclusions, in addition to recommendations and suggestions, and the study concludes with the list of references.

Keywords: ritual، Ramadan supplication، role، Iraqi radio، Iraqi television،identity

طقسية الابتهال الرمضاني العراقي ودوروسائل الإعلام في نشروتعزيزهويته الثقافية

مجلة فنون البصرة – العدد (٣٥) السنة ٢٠٢٦ ISSN : (Print) 2305-6002 : (Online) 2958-1303

- يا اله الكون أنموذجا-

علي نجم عبد الله

مركز دراسات البصرة والخليج العربي- جامعة البصرة

ملخص البحث:

تتناول الدراسة الابتهال الرمضاني في العراق بوصفه ظاهرة طقسية وإنشادية ذات أبعاد دينية وثقافية إذ شكّل جزءاً مهماً من التراث الإنشادي المرتبط بشهر رمضان وأسهم في تكوين الذاكرة الجمعية للمجتمع العراقي كما تبحث الدراسة دور الإذاعة والتلفزيون العراقي في نشر هذا اللون الإنشادي ونقله من نطاقه الطقسي المحلي إلى الفضاء الإعلامي العام ، اتخذ البحث ابتهال (يا اله الكون إنّا لك صمّنا) أنموذجاً لتحليل دور الإعلام المسموع والمرئي في إبراز البعد الروحاني والجمالي للابتهالات الرمضانية وقد اشتمل البحث على اربعة فصول: تناول الأول الإطار المنهجي وضمّ مشكلة البحث وأهدافه وأهميته وحدوده ومصطلحاته بينما عرض الفصل الثاني الإطار النظري من خلال مبحثين تناولا الابتهال الرمضاني العراقي: المفهوم والطقسية الثقافية، ودور وسائل الاعلام في تعزيز الهوية الثقافية للابتهال الرمضاني، أما الفصل الثالث فخُصص للإطار التحليلي الذي تضمّن منهج البحث وعينته وأدواته وتحليل نموذج الدراسة، أما الفصل الرابع فتضمن نتائج البحث والاستنتاجات فضلاً عن التوصيات والمقترحات ليختتم البحث بالمصادر.

الكلمات المفتاحية: طقسية ، الابتهال الرمضاني ، دور، وسائل الاعلام ، هوية

المقدمة:

تُعدّ الابتهالات الرمضانية جزءاً أساسياً من التراث الديني والثقافي في العالمين العربي والإسلامي حيث تمثّل وسيلة للتعبير عن التضرّع والتقرّب إلى الله خلال شهر رمضان المبارك من كل عام وقد اختلفت أشكال هذه الابتهالات من بلد إلى آخر بحسب الرقعة الجغرافية واختلاف الثقافات إلا أن جوهرها بقي ثابتاً وذو معنى واحد وهو الدعاء والتسبيح والتضرع.وتعد الابتهالات الدينية والرمضانية تحديداً جزءاً أصيلاً من الغناء الديني العراقي حيث ارتبط هذا النوع من الابتهالات بثقافة المجتمع العراقي وتقاليده الدينية وشكّل وسيلة للتعبير عن الانتماء الروحي والجمعي خلال المناسبات الدينية خصوصاً شهر رمضان مما جعله جزءاً من الذاكرة الجمعية للمجتمع العراقي فقد ارتبطت الابتهالات الرمضانية بالطقوس الدينية خلال الشهر الفضيل من كل سنة حيث يُؤدي المنشدون الأذكار والأدعية بصوت شجي مما يخلق أجواءً روحانية خاصة في المساجد ودور العبادة ومع تطور وسائل الإعلام اي بعد التطور التكنولوجي بداية ومنتصف القرن العشرين بدأت الإذاعة والتلفزيون في العراق ببث جميع اشكال الاناشيد الوطنية والدينية وقراءة القرآن ونشرات الاخبار والرياضة وغيرها حيث ساعدت تلك الوسائل الاعلامية في انتشار الابتهالات الدينية ومنها الرمضانية وتعزيز مكانتها في الذاكرة العراقية.بالتالي فإن دراسة الابتهالات الرمضانية لا تقتصر على تحليلها الفني والموسيقي بل تشمل أيضاً فهم دورها في تشكيل الهوية الثقافية والدينية للشعوب العربية الإسلامية وبحسب تقصي الباحث عملياً وعلمياً لا توجد ابحاثاً تناولت دراسة الابتهال الرمضاني العراقي وعليه فأن هذا البحث يتضمن دراسة طقسية للابتهال الرمضاني العراقي ودور الاعلام في ترسيخ هويته الثقافية وتم اختيار الابتهال الرمضاني (يا اله الكون إنّا لك صمّنا) إنموذجاً لتبيان دور الاعلام في نشر الوعي الديني وارتباط الذاكرة الجمعيّة بمثل هكذا اعمال دينية وصولاً لنتائج البحث الختامية.

الفصل الاول

الإطار المنهجي

مشكلة البحث:

بالرغم مما تمثله الابتهالات الرمضانية بشكل عام والعراقية بشكل خاص من قيمة روحية وفنية رسخت في وجدان المجتمع العراقي منذ منتصف القرن العشرين وليومنا إلا أن الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذا اللون من الفن ما يزال محدوداً بل تكاد تكون غائبة فالإشكالية الأساسية تكمن في أن الابتهالات لم تُدرس كمنظومة ثقافية متكاملة تجمع بين الطقس الديني والبنية الموسيقية والدور الإعلامي في نشرها بل غالباً ما تم تناولها جزئياً إما من منظور موسيقي صرف أو بوصفها نتاجاً دينياً شعبياً دون تحليل طبيعتها الطقسية و دور الإعلام في ترسيخ هويتها بذاكرة المجتمع الجمعية.

وبناءً على ما تقدم يمكن صياغة مشكلة البحث في محدودية الدراسات التي تناولت موضوع البحث الراهن وتتمثل في التساؤل الآتي:

ما هي طقسية الابتهال الرمضاني العراقي ودور الاذاعة والتلفزيون في نشره وتعزيز هويته الثقافية؟

فرضية البحث: يقوم البحث على الفرضية التالية:

طقسية الابتهال الرمضاني العراقي ودور الاذاعة والتلفزيون في نشره وتعزيز هويته الثقافية.

أهداف البحث: يهدف البحث الى:

١. دور الوسائل الاعلامية العراقية (الإذاعة والتلفزيون) في منتصف القرن العشرين في نقل الابتهال من فضائه الطقسي المحلي إلى فضاء وطني عام.
٢. توضيح العلاقة بين الاعمال الدينية كالأناشيد والابتهالات وبين وسائل الإعلام بوصفها وسيطاً ثقافياً مؤثراً.
٣. دراسة كيفية ترسيخ الهوية الثقافية للابتهال في الذاكرة الجمعية للمجتمع العراقي من خلال تكرار بثه في الإعلام.
٤. توثيق مثل هكذا اعمال دينية كالابتهال الرمضاني العراقي واقتراح البحث كخطوة لتوثيقه وتحليله علمياً.

أهمية البحث: تكمن في الاتي:

١. يوثّق جانباً مهماً من التراث الديني الشعبي الرمضاني الذي شكّل وجدان العراقيين وأصبح جزءاً من ذاكرتهم الجمعية.
٢. يسلّط الضوء على الوظيفة الثقافية للإعلام في تعزيز الطقوس الدينية ونقلها من المحيط المحلي إلى فضاءات واسعة مما ساعد في ابراز الهوية الوطنية.
٣. يُساهم في حفظ التراث الموسيقي والإنشادي العراقي من خلال تقديم دراسة أكاديمية منهجية في مجال دراسات الموسيقى والأنثروبولوجيا الدينية ويُبرز خصوصية التجربة العراقية مقارنة بالتجارب العربية الأخرى.

حدود البحث:

الزمانية: خمسينات وستينات القرن العشرين

المكانية: مدينة بغداد

الموضوعية: دراسة طقسية الابتهال الرمضاني العراقي (يا اله الكون إنّا لك صمّنا) إنموذجاً اضافة الى دور الاذاعة والتلفزيون في نشر وتعزيز الهوية الدينية الثقافة.

البشرية: الملحن روحي الخماش

مصطلحات البحث:

١. الطقسية (Rituality): هي مجمل الممارسات الرمزية ذات الطابع الاجتماعي او الديني التي تؤدى بشكل تكراري منظم في سياق زماني ومكاني محدود الهدف منها ترسيخ المعنى الروحي الانتماء الجمعي اما في السياق الموسيقي فأنها تُشير الى الطقسية البنيوية الصوتية والإنشادية التي ترافق العبادات و الممارسة الشعائرية (Eliade, 1996, p. 48)، أما اصطلاحاً فيعرفه عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركهايم بأنها قواعد السلوك التي تحدد الكيفية التي يجب أن يتصرف بها الإنسان إزاء الأشياء المقدسة أي أنها مجموعة من الممارسات التي تنظّم علاقة الإنسان بالمقدّس داخل المجتمع. (Durkheim, 1995, p. 38)
٢. الابتهال الديني (Religious Supplication): ورد تعريف الابتهال في معجم لسان العرب لابن منظور بأنه التضرّع إلى الله تعالى والاجتهاد في الدعاء والإخلاص فيه ويقال: ابتهل إلى الله أي تضرّع وأخلص في الدعاء (Al-Kabir, 1988, p. 52)، والابتهال هو لون من ألوان الانشاد الديني القائم على وحدة نغمية وايقاعية معينة معتمدة على المقامات العربية ويؤدى بهدف الدعاء والتضرع إلى الله بشكل يتلائم مع احساس روحاني خاص ومن اشهر الابتهالات هي الابتهالات الرمضانية التي تركز على معاني الصوم والتوبة والتجليات الروحانية للشهر الفضيل. (Al-Sayyid, 1989, p. 112)
٣. وسائل الاعلام: يُعدّ مصطلح وسائل الإعلام من المفاهيم الأساسية في دراسات الاتصال والإعلام ويشير إلى الأدوات أو القنوات التي تُستخدم لنقل المعلومات والأفكار والرسائل إلى الجمهور فقد عرّفَ معجم المصطلحات الإعلامية وسائل الإعلام بأنها: الوسائل أو القنوات التي يتم من خلالها نقل المعلومات والأخبار والآراء إلى الجمهور مثل الصحافة والإذاعة والتلفزيون والسينما والوسائط الرقمية بهدف الإخبار أو التثقيف أو التأثير في الرأي العام. (Mohammed, 2011, p. 312)
٤. الهوية الثقافية (Cultural Identity): هي منظومة القيم والرموز والعادات والفنون التي تُعبّر عن خصوصية جماعة بشرية وتُميزها عن غيرها وتُشكّل وعيها الجمعي وهي في سياق توارثه عبر الأجيال وارتباطه بالذاكرة الشعبية (Said, 1997, p. 41)، وقد عرّف معجم

مصـطلحات العلوم الاجتماعية الهوية الثقافية بأنها مجموعة الخصـائص والسـمات الثقافية التي تميّز مجتمعاً أو جماعة بشـرية وتمنح أفرادها شعوراً بالانتماء والتميّز عن غيرهم من الجماعات. (Zayed, 2006, p. 365)

الفصل الثاني

الإطار النظري

المبحث الاول - الابتهال الرمضاني العراقي: المفهوم والطقسية الثقافية

أولاً: مفهوم الابتهال في اللغة والاصطلاح:

يعد الابتهال أحد الأنماط التعبدية التي تجمع بين البعد الروحي والبعد الجمالي في الثقافة الإسـلامية، إذ يشـكّل صـيغةً من صـيغ الدعاء والتضـرّع التي تتجلى فيها العلاقة المباشـرة بين الإنسـان والخالق. وقد اكتسـب هذا النمط التعبدي حضـوراً خاصـاً في الممارسـات الدينية المرتبطة بشـهر رمضـان، حيث يتخذ شـكلاً طقسـيّاً وجمالياً يتداخل فيه الصـوت والإنشـاد والوجدان الجمعي. من الناحية اللغوية يرتبط مصطلح الابتهال بالجذر اللغوي (ب هـــ ل) وهو يدلّ في المعاجم العربية على التضـرّع والاجتهاد في الدعاء ويقال: ابتهل إلى الله أي تضـرّع إليه وأخلص في دعائه وقد جاء في المعاجم العربية أن الابتهال هو الدعاء المصـحوب بالتذلل والخشـــوع وهو أقرب ما يكون إلى طلب الرحمة والرجاء في الاسـتجابة الإلهية كما ارتبط هذا المصـطلح في التراث الديني الإسـلامي بالدعاء الخالص الذي يتضـمن الإلحاح والافتقار إلى الله وهو ما يظهر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران ٦١)، حيث يدل الفعل على الدعاء والتضـرع بإخلاص.أما في الاصـطلاح الديني فقد عرّفه علماء الفقه والحديث بأنه نوع من الدعاء يتّسـم بالخضـوع والافتقار وغالباً ما يكون مصـحوباً برفع اليدين والتوجه القلبي الكامل إلى الله تعالى ويُعدّ من آداب الدعاء وسـننه التي تعكس حالة التضـرع والخشـوع لدى الداعي.ومن هذا المنطلق يمكن تعريف الابتهال – في سـياق الدراسـات الثقافية – بأنه صـيغة إنشـادية دعائية تجمع بين الأداء الصـوتي والمضـمون الروحي وتؤدى غالباً بأسلوب موسيقي إنشادي يُعبّر عن التضرع والرجاء في الخطاب الديني.

ثانياً: مفهوم الطقسية في الممارسات الدينية:

يشـكّل مفهوم الطقس الديني أحد المفاهيم المركزية في دراسـة الظواهر الدينية والثقافية. فالطقوس تمثل مجموعة من الأفعال الرمزية المتكررة التي تؤدى في إطار اجتماعي محدد وتكتسـب معناها من السـياق الثقافي والديني الذي تنتمي إليه وقد عرّف عالم الاجتماع الفرنسـي (Durkheim) الطقوس بأنها الأفعال التي تعبّر عن الاعتقادات الدينية وتعيد إنتاجها داخل المجتمع إذ تعمل على تعزيز التضامن الاجتماعي وترسـيخ القيم المشـتركة بين أفراد الجماعة. (Durkheim, 1995, p. 44). أما الأنثروبولوجي (Victor Turner) فقد نظر إلى الطقوس بوصـفها نظاماً رمزياً يعكس البنية الثقافية للمجتمع حيث تؤدي الطقوس دوراً مهماً في نقل المعاني الثقافية وإعادة إنتاج الهوية الجمعية فالطقس ليس مجرد ممارسـة دينية ثابتة بل هو عملية ثقافية تُنتج المعنى الاجتماعي من خلال التكرار والرمزية إذ تؤدي الطقوس وظيفة أسـاسـية في تشـكيل الوعي الجماعي وتعزيز الانتماء الثقافي (Victor, 1969, p. 19)، وبناءً على هذه الرؤى النظرية يمكن فهم الابتهال الرمضـاني بوصـفه طقساً دينياً وثقافياً في الوقت نفسه حيث يجمع بين الأداء التعبدي والممارسة الجماعية التي تعبّر عن القيم الروحية للمجتمع الإسلامي.

ثالثاً: الابتهال في التراث الإسلامي:

ارتبط الابتهال منذ العصـــور الإســـلامية الأولى بفكرة الدعاء الجماعي والفردي وقد وردت الإشـــارة إلى الدعاء والتضـــرع في العديد من النصـــوص القرآنية والحديثية التي تؤكد أهمية الدعاء في حياة المســـلم ففي القرآن الكريم وردت العديد من الآيات التي تحث على الدعاء والتضـرع، منها قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَـرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ (الأعراف ٥٥) وهو ما يعكس أهمية الخشـوع والتضـرع في الدعاء، كما أكد النبي محمد ﷺ أهمية الدعاء بوصـــفه جوهر العبادة حيث ورد في الحديث الشـــريف: «الدعاء هو العبادة» (رواه الترمذي) وقد اهتم العلماء المســـلمون بتأصـــيل مفهوم الدعاء والابتهال في كتبهم بأن الدعاء من أعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى الله وأنه يجمع بين الذِكر والتضـرع والخضـوع. (Al-Nawawi, 2004, p. 17). وبمرور الزمن تطور الدعاء في بعض المجتمعات الإسـلامية ليأخذ شـكلاً فنياً إنشـادياً يُعرف بالابتهالات الدينية حيث يتم أداء الدعاء بصيغة صوتية ذات إيقاع موسيقي وهو ما أدى إلى ظهور تقاليد إنشادية مرتبطة بالمناسبات الدينية المختلفة.

رابعاً: الابتهال الرمضاني بوصفه طقساً ثقافياً:

يعد شهر رمضان من أهم المواسم الدينية في الثقافة الإسلامية إذ يشكّل فضاءً زمنياً مميزاً تتكثف فيه الممارسات التعبدية والطقوس الروحية مثل الصيام والقيام وتلاوة القرآن والدعاء. وفي هذا السياق برز الابتهال الرمضاني كأحد الأنماط التعبدية التي تؤدى خلال هذا الشهر خصوصاً في الأوقات المرتبطة بالشعائر الرمضانية مثل وقت الإفطار أو قبل صلاة الفجر أو في البرامج الدينية التي تبثها وسائل الإعلام. ويتميّز الابتهال الرمضاني بعدة خصائص ثقافية من أبرزها:

١. الطابع الجماعي: حيث يُؤدى الابتهال غالباً في إطار جماعي داخل المساجد أو عبر وسائل الإعلام مما يعزّز الشعور بالمشاركة الروحية بين أفراد المجتمع.
٢. الطابع الجمال الصوتي: يعتمد الابتهال على الأداء الصوتي المؤثر الذي يجمع بين النغمة الموسيقية واللغة الدعائية، وهو ما يمنحه بعداً جمالياً مميزاً.
٣. البعد الرمزي :إذ يعكس الابتهال قيماً دينية وروحية مثل التوبة والرجاء والرحمة الإلهية، وهي قيم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بشهر رمضان.

ويشير علماء الأنثروبولوجيا الثقافية إلى أن الطقوس الدينية في المواسم المقدسة تؤدي دوراً مهماً في تعزيز الهوية الثقافية لأنها تمثل شكلاً من أشكال الذاكرة الثقافية التي تنتقل عبر الأجيال. (Assmann J. , 2011, p. 37)

خامساً: خصوصية الابتهال الرمضاني في الثقافة العر اقية:

تمتلك المجتمعات العربية والإسلامية تقاليد متنوّعة في أداء الابتهالات الدينية غير أن البيئة العراقية تتميّز بخصوصية ثقافية واضحة في هذا المجال حيث ارتبط الابتهال بالموروث الديني والإنشادي الذي تشكّل عبر قرون طويلة من التفاعل بين التراث الديني والبيئة الاجتماعية. فالعراق يُعد من المراكز الحضارية التي شهدت تطوراً مبكراً في الفنون الدينية بما في ذلك التلاوة القرآنية والإنشاد الديني والمراثي والابتهالات والردّات الحسينية وقد أسهم هذا التراث في تشكيل أنماط صوتية وإنشادية مميزة تعكس الخصوصية الثقافية للمجتمع العراقي فيشير عالم الاجتماع العراقي -علي الوردي- إلى أن الثقافة العراقية تتميز بثراء كبير في التعبيرات الدينية والشعائرية حيث تلعب المناسبات الدينية دوراً مهماً في تكوين الوجدان الجمعي للمجتمع. (Al-Wardi, 1969, p. 33) وفي السياق الرمضاني تحديداً أصبح الابتهال جزءاً من الذاكرة الصوتية للمجتمع العراقي إذ ارتبط ببرامج الإذاعة والتلفزيون التي كانت تبث قبل الإفطار أو في ساعات السحر مما جعله عنصراً مهماً من عناصر الطقسية الرمضانية في الحياة اليومية.

سادساً: الوظائف الثقافية والاجتماعية للابتهال الرمضاني

يمكن النظر إلى الابتهال الرمضاني من زاوية علم الاجتماع الثقافي بوصفه ممارسة ذات وظائف متعددة تتجاوز الجانب التعبدي إلى أبعاد اجتماعية وثقافية أوسع، ومن أبرز هذه الوظائف:

١. الوظيفة الروحية: حيث يُسهم الابتهال في تعزيز حالة الخشوع والتأمل لدى الأفراد إذ يخلق جواً روحياً يساعد على استحضار المعاني الدينية المرتبطة بشهر رمضان.
٢. الوظيفة الثقافية: إذ يُمثل الابتهال أحد أشكال التراث غير المادي الذي يعكس الهوية الدينية والثقافية للمجتمع حيث ينتقل عِبر الأجيال بوصفه جزءاً من الذاكرة الثقافية.
٣. الوظيفة الاجتماعية: يُسهم الابتهال في تعزيز التماسك الاجتماعي لأنه يُؤدى في سياق جماعي يعكس وحدة المشاعر والقيم بين أفراد المجتمع.
٤. الوظيفة الجمالية: يجمع الابتهال بين اللغة الشعرية والأداء الصوتي مما يجعله شكلاً من أشكال التعبير الفني الديني الذي يُثري الثقافة الموسيقية والإنشادية.

كما أن خصوصية الابتهال في البيئة العراقية تكمن في ارتباطه بالموروث الإنشادي المحلي وبالذاكرة الرمضانية التي تشكّلت عبر التفاعل بين الممارسة الدينية ووسائل الإعلام ومن هنا يصبح الابتهال الرمضاني أحد العناصر المهمة في تشكّيل الهوية الثقافية الدينية للمجتمع العراقي. من الناحية التاريخية ارتبط ظهور الابتهالات الرمضانية في العراق بالأنشطة الدينية التي كانت تُقام في المساجد خلال شهر رمضان مثل صلاة التراويح ومجالس الذكر والدعاء ففي هذه المجالس كان المنشدون يؤدّون نصوصاً دعائية وإنشادية تعبّر عن معاني التوبة والرجاء والابتهال إلى الله وغالباً ما كانت هذه النصوص تُنشد بأسلوب يعتمد على المقامات الموسيقية العربية التي تُعد جزءاً أساسياً من التراث الموسيقي العراقي ويشير الباحث حسين الأعظمي إلى أن التراث المقامي العراقي كان له تأثير واضح في أساليب الأداء الصوتي للإنشاد الديني حيث استُخدمت مقامات مثل البيات والحجاز والسيكاه لإضفاء بُعد روحي وجمالي على الأداء الإنشادي

(Al-Aadthami, 2000, p. 41) .

ساعد هذا التفاعل بين الموسيقى المقامية والإنشاد الديني على تشكيل أسلوب خاص للابتهال في العراق يتميّز بالثراء النغمي والقدرة التعبيرية العالية فالمقامات الموسيقية المستخدمة في الابتهالات لا تؤدي وظيفة جمالية فحسب بل تُسهم أيضاً في تعزيز التأثير الروحي للنصوص الدُعائية إذ ترتبط بعض المقامات في الوجدان الشعبي بمشاعر الخشوع والتضرع ولذلك أصبحت الابتهالات الرمضانية في العراق تمثل نموذجاً مميزاً للتكامل بين التعبير الديني والفن الصوتي.

ومن الجوانب المهمة في خصوصية الابتهال الرمضاني العراقي ارتباطه الوثيق بالحياة الاجتماعية للناس خلال شهر رمضان فقد كان العراقيون ينظرون إلى الابتهالات بوصفها جزءاً من الأجواء الروحية التي تميّز هذا الشهر حيث تُؤدّى في أوقات محددة قبيل الإفطار وكانت هذه اللحظات تمثّل أوقاتاً تتكثف فيها المشاعر الدينية لدى الناس مما يجعل الابتهال وسيلة للتعبير الجماعي عن هذه الحالة الروحية، ويشير الباحث نوري الراوي إلى أن الفنون الشعبية في العراق ومنها الإنشاد الديني لعبت دوراً مهماً في تشكيل الذاكرة الثقافية للمجتمع لأنها ارتبطت بالمناسبات الدينية والاجتماعية التي يعيشها الناس بصورة متكررة. (Al-Rawi, 1981, p. 57)

المبحث الثاني- دوروسائل الاعلام في تعزيز الهوية الثقافية للابتهال الرمضاني

أولاً: دور الإذاعة العراقية في توسيع انتشار الابتهال الرمضاني

مع دخول وسائل الإعلام الحديثة إلى العراق في القرن العشرين ولا سيما بعد تأسيس الإذاعة العراقية عام ١٩٣٦ بدأت الابتهالات الرمضانية تأخذ بُعداً جديداً يتجاوز نِطاقها المحلي داخل المساجد والمجالس الدينية فقد عملت الإذاعة على تسجيل العديد من الابتهالات وبثها في أوقات مرتبطة بالشعائر الرمضانية مثل الفترة التي تسبق أذان المغرب أو في ساعات السحر وقد أسهم هذا البث المنتظم في تحويل الابتهالات إلى جزء من الذاكرة الصوتية المشتركة لدى العراقيين حيث ارتبطت أصوات المنشدين وأنغام الابتهالات بذكريات الشهر الفضيل في الوعي الجمعي للمجتمع. ويشير الباحث إبراهيم العلّاف إلى أن الإذاعة العراقية لعبت دوراً مهماً في نشر الثقافة الدينية والفنية في المجتمع إذ أسهمت برامجها في تعريف الجمهور بأنماط متعددة من التراث الصوتي العراقي ومنها التلاوة القرآنية والابتهالات والإنشاد الديني. (Al-Allaf, 2012, p. 122) .ويشير الباحث إبراهيم خليل العلاف إلى أن الإذاعة العراقية منذ سنواتها الأولى خصصت برامج متعددة للثقافة الدينية، مثل تلاوة القرآن الكريم والدروس الوعظية والابتهالات الدينية، وكان لهذه البرامج تأثير واضح في تشكيل الوعي الديني لدى الجمهور (Al-Allaf, 2012, p. 122). أصبحت الابتهالات الرمضانية من الفقرات الثابتة في الخارطة البرامجية للإذاعة خلال الشهر الفضيل حيث كانت تُبث في أوقات مرتبطة بالشعائر الرمضانية مثل الفترة التي تسبق أذان المغرب أو في ساعات السحر وقد أسهم هذا البث المنتظم في ربط الابتهالات بإيقاع الحياة اليومية خلال رمضان بحيث أصبح الجمهور ينتظر سماعها في تلك الأوقات بوصفها جزءاً من الأجواء الروحية للشهر الكريم. (Al-Allaf, 2012, p. 78). كما لعبت الإذاعة دوراً مهماً في تسجيل أصوات المنشدين والقرّاء الذين كانوا يؤدون الابتهالات داخل المساجد أو المجالس الدينية الأمر الذي أسهم في حفظ هذا التراث الصوتي وتوثيقه، ويؤكد الباحث حسن عماد مكّاوي أن الإذاعة بوصفها وسيلة إعلامية تعتمد على الصوت تمتلك قدرة كبيرة على التأثير في المشاعر الدينية لدى الجمهور لأن الصوت يحمل طابعاً روحياً خاصاً يمكنه إثارة الإحساس بالخشوع والتأمل. (Mekkawi, 2009, p. 83). وبذلك أصبحت الإذاعة وسيلة فعّالة في نشر الابتهالات الرمضانية وتعريف الجمهور بها كما أسهمت في تحويلها من ممارسة محلية محدودة إلى موروث صوتي مشترك بين مختلف مناطق العراق.

ثانياً: دور التلفزيون العراقي في توسيع انتشار الابتهال الرمضاني

مع تأسيس التلفزيون العراقي سنة ١٩٥٦ دخلت الثقافة الدينية في العراق مرحلة جديدة من الانتشار الإعلامي إذ أتاح التلفزيون إمكانية الجمع بين الصورة والصوت في تقديم البرامج الدينية والإنشادية إذ ساعد ذلك على إبراز الجوانب الجمالية والفنية للابتهالات الرمضانية من خلال عرض أداء المنشدين وإظهار الأجواء الروحية التي ترافق هذه الممارسات. إنّ التلفزيون يتميز بقدرته على دمج العناصر السمعية والبصرية مما يجعله أكثر تأثيراً في تشكيل الاتجاهات الثقافية والاجتماعية لدى الجمهور ولذلك كان لظهور التلفزيون دور مهم في توسيع انتشار الابتهالات الرمضانية وإيصالها إلى جمهور أوسع. ساهم التلفزيون العراقي بعد تأسيسه في توسيع نطاق انتشار الابتهالات الرمضانية من خلال البرامج الدينية التي كانت تُبث خلال الشهر الفضيل حيث جرى تقديم الابتهالات بصيغة تجمع بين الأداء الصوتي والصورة التلفزيونية الأمر الذي عزّز حضورها في الوجدان الثقافي للمجتمع وبذلك أصبحت الابتهالات جزءاً من الثقافة الإعلامية الرمضانية التي

ينتظرها الجمهور في كل عام. ويمكن القول إن الابتهال الرمضاني في العراق تحوّل من ممارسة طقسية محلية تؤدّى في المساجد والمجالس الدينية إلى ظاهرة ثقافية وإعلامية واسعة الانتشار وقد أسهم هذا التحول في ترسيخ مكانة الابتهالات بوصفها أحد عناصر الهوية الثقافية والدينية للمجتمع العراقي إذ أصبحت تمثّل رمزاً من رموز الذاكرة الرمضانية التي يتشاركها أفراد المجتمع عبر الأجيال. الابتهال الرمضاني في العراق يتميّز بوصفه ظاهرة تجمع بين ثلاثة أبعاد رئيسة وهي البُعد الروحي المرتبط بالدعاء والتضرع والبُعد الفني المرتبط بالتراث المقامي والإنشاد الديني والبُعد الثقافي والاجتماعي المرتبط بالذاكرة الجمعية للمجتمع وقد أدى هذا التداخل بين الأبعاد المختلفة إلى منح الابتهال العراقي خصوصية مميّزة جعلته جزءاً أصيلاً من المشهد الثقافي الرمضاني في العراق.

خصّص التلفزيون العراقي خلال شهر رمضان برامج دينية متعددة تضمّنت فقرات للإنشاد والابتهال وغالباً ما كانت هذه الفقرات تُبث في أوقات مرتبطة بالشعائر الرمضانية حيث ساعدت الصورة التلفزيونية على إبراز الطابع الروحي للأداء الإنشادي من خلال إظهار تعابير المنشدين وأجواء المساجد أو الاستوديوهات التي يتم فيها تسجيل الابتهالات، فيشير الباحث عبد الرحمن عزي إلى أن وسائل الإعلام المرئية لا تكتفي بنقل الرسائل الثقافية فحسب بل تُسهم أيضاً في إعادة إنتاجها وترسيخها داخل المجتمع من خلال التكرار والتداول المستمر. (Azzi, 2010, p. 97)

ثالثاً: وسائل الإعلام وتعزيز الهوية الثقافية للابتهال الرمضاني

لم يقتصر دور وسائل الإعلام في العراق على نشر الابتهالات الرمضانية فحسب بل امتد أيضاً إلى تعزيز حضورها بوصفها عنصراً من عناصر الهوية الثقافية والدينية للمجتمع فالتكرار السنوي لبث الابتهالات خلال شهر رمضان ساهم في ترسيخها في الذاكرة الجماعية للمجتمع حتى أصبحت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتجربة الرمضانية لدى العراقيين. وتؤكد الدراسات الإعلامية أن وسائل الإعلام تلعب دوراً أساسياً في نقل التراث الثقافي وتثبيته داخل المجتمع لأنها تعمل على إعادة تقديم الموروث الثقافي في صيغ جديدة تتناسب مع تطوّر وسائل الاتصال ومن هذا المُنطلق يمكن القول إن الإذاعة والتلفزيون في العراق أسهما في تحويل الابتهال الرمضاني من ممارسة طقسية محلية إلى رمز ثقافي مشترك يعكس الهوية الدينية للمجتمع. (McQuail, 2010, p. 86). ويكمن أثر الإعلام في تكوين الذاكرة الرمضانية لدى المجتمع العراقي من خلال تكرار بث الابتهالات الرمضانية عبر الإذاعة والتلفزيون خلال سنوات طويلة الأمر الذي أدى إلى نشوء ما يمكن تسميته بالذاكرة الصوتية الرمضانية لدى المجتمع فقد ارتبطت أصوات المنشدين وأنغام الابتهالات بذكريات الشهر الفضيل وأصبحت جزءاً من التجربة الثقافية التي يتشاركها أفراد المجتمع عبر الأجيال. ويشير الباحث (Jan Assmann) إلى أن الذاكرة الثقافية للمجتمعات تتشكل من خلال الرموز والطقوس والممارسات التي تتكرر عبر الزمن وتصبح جزءاً من الوعي الجمعي (Assmann J. , 2010, p. 37)، وبذلك يُمكن فهم الدور الذي لعبته وسائل الإعلام في ترسيخ الابتهالات الرمضانية داخل الذاكرة الثقافية للعراقيين.

أسهمت الإذاعة والتلفزيون العراقي منذ تأسيسهما في إبراز عدد من الأصوات والكتّاب والملحنين الذين قدموا الأناشيد والابتهالات الدينية المرتبطة بالمناسبات الدينية ولا سيما شهر رمضان المبارك إذ ارتبطت ببث البرامج الرمضانية والأجواء الروحانية التي عاشها الجمهور آنذاك وقد تميّزت الابتهالات العراقية في تلك المرحلة بإرتباطها بالتراث المقامي العراقي وبالنصوص الشعرية الدينية التي تَعكس معاني التضرع والخشوع والدعاء. ارتبط انتشار الابتهال ببثه عبر الإذاعة العراقية ضمن البرامج الرمضانية التي كانت تُبث قبيل أذان المغرب ثم استمر بثه بعد ذلك عبر التلفزيون العراقي بعد تأسيسه مما ساهم في ترسيخه في الذاكرة الرمضانية في العراق، حيث لا توجد وثائق دقيقة تُحدد اسم الملحن الذي وضع لحن الابتهال لأول مرة في الإذاعة العراقية إلا أن الدراسات الخاصة بالإنشاد الديني في العراق تشير إلى أن اللحن صيغ بأسلوب يعتمد على المقام العراقي ولا سيما مقام البيات الذي يُستخدم كثيراً في الأناشيد الدينية لما يحمله من طابع روحاني وتأملي. (Al-Aadthami, 2000, p. 41)

ولعل من أبرز الأسماء التي أسهمت تقديم الابتهالات الدينية في العراق الفنان ناظم الغزالي (١٩٢١–١٩٦٣) إذ يُعد من أبرز الأصوات العراقية التي شاركت في أداء الأناشيد الدينية في بدايات الإذاعة العراقية وقدّم بعض الأناشيد والابتهالات التي كانت تُبث في المناسبات الدينية وقد تميز أداؤه بالاعتماد على المقام العراقي الذي يُضفي طابعاً روحياً على النصوص الإنشادية ومن أشهر ما أدى ابتهال (قوموا صلوا) الحان الفنان وديع خوندة وكلمات الشاعر عبد المجيد الملا. (Al-Aadthami, 2000, p. 145)

ويُعدّ ابتهال (يا إله الكون إنّا لك صمّنا) من أشهر الابتهالات الرمضانية التي ارتبطت بالذاكرة السمعية للمجتمع العراقي إذ ظل يُبث عبر الإذاعة العراقية ثم التلفزيون العراقي قبيل أذان المغرب خلال شهر رمضان لسنوات طويلة حتى أصبح علامة صوتية مميّزة لبداية الإفطار

وقد تميّز هذا الابتهال ببساطة تركيبه اللحني وعمق معناه الروحي فضلاً عن اعتماده على أسلوب الأداء المقامي الذي يميّز الإنشاد الديني في العراق. (Al-Hamad, 1998, p. 214)

وتُشير الدراسات التي تناولت التراث الإذاعي العراقي إلى أن نص الابتهال (يا إله الكون إنّا لك صمنا) هو نص دُعائي تقليدي من الأدعية المتداولة في الثقافة الإسلامية وهو قريب في مضمونه من الدعاء النبوي الشريف الوارد عند الإفطار (اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت) ولهذا لا يُنسب النص في الغالب إلى شاعر محدد بل يُعدّ من النصوص الدُعائية التراثية التي استُخدمت في الإنشاد الديني. (Al-Aadthami, 2000, p. 41)، وفي رواية أخرى يُنسب النص الى الشاعر العراقي هشام كاظم الحلّي.

ولعل أهم ما يميّز ابتهال (يا إله الكون إنّا لك صمّنا) عدة خصائص فنية الذي جعلته قريباً من وجدان الجمهور العراقي منها (البنية النصيّة البسيطة القائمة على الدعاء والتضرع، الاعتماد على التعبيرات الجمالية للمقام العراقي في الأداء الصوتي، المدة الزمنية القصيرة التي تتناسب مع لحظة انتظار أذان المغرب، الارتباط الزمني الثابت ببثه قبيل الإفطار في شهر رمضان).

يعتبر الملحن الفلسطيني العراقي الراحل روحي الخمّاش هو ملحّن الابتهال (يا إله الكون إنّا لك صمّنا) وأول الملحنين في العراق الذين أعطوا مكانة للابتهال الجديد فقد قام تلحين (يا إله الكون) في العام ١٩٥٦م ويربط كثير من العراقيين بين هذا الابتهال وطقوس شهر رمضان حيث كان يُسمَع بانتظام في الإذاعة والتلفزيون في الخمسينيات والستينيات حتى أصبح جزءاً من الذاكرة الصوتية للمتلقي العراقي في أوقات الإفطار وهذا الارتباط بين الصوت والزمن الديني يعكس وظيفة ثقافية مهمة للابتهال ضمن هوية رمضان العراقية وقد وصفَ البعض هذا العمل بأنه لحن يمتاز بـ ملامح رومانسية روحانية وجماعية أكثر من كونه مجرد دعاء صوتي إذ لم يَجِد عن كونه طقساً ذا بعد اجتماعي وروحاني. تم تسجيل الابتهال لأول مرة لدى دار الإذاعة العراقية عام ١٩٥٧م، وكانت الجهة المنفذة للتسجيل فرقة الإنشاد العراقية وهي فرقة إنشاد كانت تعمل مع الإذاعة العراقية في تلك المرحلة. إن تكرار بث هذا الابتهال عبر الإذاعة والتلفزيون لسنوات طويلة جعله يتحول إلى رمز صوتي للذاكرة الرمضانية في العراق حيث ارتبط في وجدان الجمهور بلحظة الإفطار وبالأجواء الروحية للشهر الفضيل ومن ثم أصبح يمثّل أحد مظاهر التراث السمعي الرمضاني الذي يَعكس العلاقة بين الممارسة الدينية ووسائل الإعلام.

ويتضح من العرض السابق أن الإذاعة والتلفزيون في العراق لعبا دوراً محورياً في نشر الابتهالات الرمضانية وتوسيع نطاق انتشارها داخل المجتمع فقد أسهمت الإذاعة في تسجيل هذه الابتهالات وبثها بصيغ صوتية مؤثرة بينما أضاف التلفزيون بُعداً بصرياً وجمالياً للأداء الإنشادي ومع استمرار بث هذه الابتهالات عبر وسائل الإعلام خلال شهر رمضان تحوّلت إلى عنصر ثقافي راسخ في الذاكرة الجماعية للمجتمع العراقي وأصبحت تُمثّل أحد مظاهر الهوية الثقافية والدينية المرتبطة بالممارسات الرمضانية. وبذلك يمكن القول إن وسائل الإعلام لم تكتفِ بدور الناقل لهذا التراث الإنشادي بل شاركت أيضاً في إعادة إنتاجه وترسيخه بوصفه جزءاً من الثقافة الرمضانية المعاصرة في العراق.

ما أسفر عنه الإطار النظري

١. يُعدّ الابتهال الرمضاني أحد مظاهر الإنشاد الديني المرتبط بالطقوس التعبدية لشهر رمضان إذ يعكس حضوراً ثقافياً وروحياً متجذراً في المجتمع العراقي.
٢. ارتبط الابتهال الرمضاني بالتراث الإنشادي العراقي الذي يستند إلى أساليب الأداء الصوتي للمقام العراقي التقليدي.

٣. أسهمت وسائل الإعلام العراقية ولا سيما الإذاعة والتلفزيون منذ تأسيسهما في نشر الابتهالات الرمضانية وتوسيع نطاق تداولها بين فئات المجتمع.
٥. أدى البث الإعلامي المتكرر للابتهالات خلال شهر رمضان إلى ترسيخها في الذاكرة السمعية والثقافية للمجتمع العراقي.
٦. يشكّل الابتهال الرمضاني جزءاً من الهوية الثقافية والدينية التي تعكس تفاعل الممارسة التعبدية مع التعبير الفني والإعلامي في المجتمع العراقي.

الفصل الثالث

الإطار التحليلي

أولاً: منهج البحث: اتبعت منهجية البحث هذا المنهج الوصفي (تحليل محتوى) حيث يتم من خلاله جمع المعلومات وتنظيمها وتحديد المشكلة والبحث عن المفاهيم النظرية وتحليل محتوى العينة المختارة للوصول لنتائج البحث.

ثانياً: مجتمع البحث: تحدد مجتمع البحث بالابتهالات الدينية التي بُثّت عبر الإذاعة والتلفزيون العراقي خلال فترة الخمسينات والستينات من القرن العشرين، وهي المرحلة التي شهدت بداية توظيف وسائل الإعلام الحديثة في نقل الإنشاد الديني إلى الجمهور ومن خلال تتبع الباحث للمصادر التاريخية والمواد الإذاعية المتوافرة تبيّن أن عدد الابتهالات الرمضانية العراقية المشهورة في تلك الفترة كان محدوداً نسبياً إذ لم يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة من ابتهالات معروفة ارتبطت بالبث الإذاعي والتلفزيوني في شهر رمضان كإبتهال يا إله الكون إنّا لك صمنا، قوموا صلوا، رمضان الخير، وقد ارتبطت هذه الابتهالات بالأجواء الرمضانية وبالبرامج الدينية التي كانت تُبث قبيل أذان المغرب الأمر الذي أسهم في ترسيخ حضورها في الذاكرة السمعية للمجتمع العراقي.

ثالثاً: عينة البحث: اختار الباحث ابتهال (يا إله الكون إنّا لك صمّنا) ليكون عينة البحث وذلك لما يتمتّع به من حضورواسع في الذاكرة الرمضانية العر اقية فضلاً عن ارتباطه المباشر بالبث الإذاعي والتلفزيوني في شهر رمضان كما يمثّل هذا الابتهال نموذجاً واضحاً للإنشاد الديني الذي يجمع بين النص الدعائي والبنية اللحنية المستندة إلى روحية النغم العراقي مما يجعله مناسباً للتحليل الفني وفق منهج البحث المعتمد.

رابعاً: ادوات ومستلزمات البحث:

١. التسجيل الصوتي للابتهال المعتمد في البث الإذاعي والتلفزيوني.
٢. النص الإنشادي للابتهال وتحليله لغوياً ودلالياً.
٣. بطاقة تحليل فني تتضمن مجموعة من المؤشرات الخاصة بالنص واللحن والإيقاع.
٤. نوتة موسيقية.
٥. الة عود.
٦. حاسبة الكترونية.

تحليل العينة:

النص:

يا اله الكون انّا لك صُمّنا
وعلى رزقِكَ أفطرنا وإنّا

مجلة فنون البصرة – العدد (٣٥) السنة ٢٠٢٦ ISSN : (Print) 2305-6002 : (Online) 2958-1303

لصيام الغدِ يا ربُ نويّنا

فتقبل صومنا يا ربُ منّا

******

يا اله الكون يا ربّ السماء

خالق الانسان من طينٍ وماء

نجّنا من كُل كربٍ وبلاء

واقبل التوبةَ منّا واعفُ عنّا

******

يا اله الكون يا مُهدي العباد

لطريق الخير في دُنيا الرشَاد

اهدنا يا ربّنا يوم المعاد

وتقبّل صومنا يا ربُ منّا

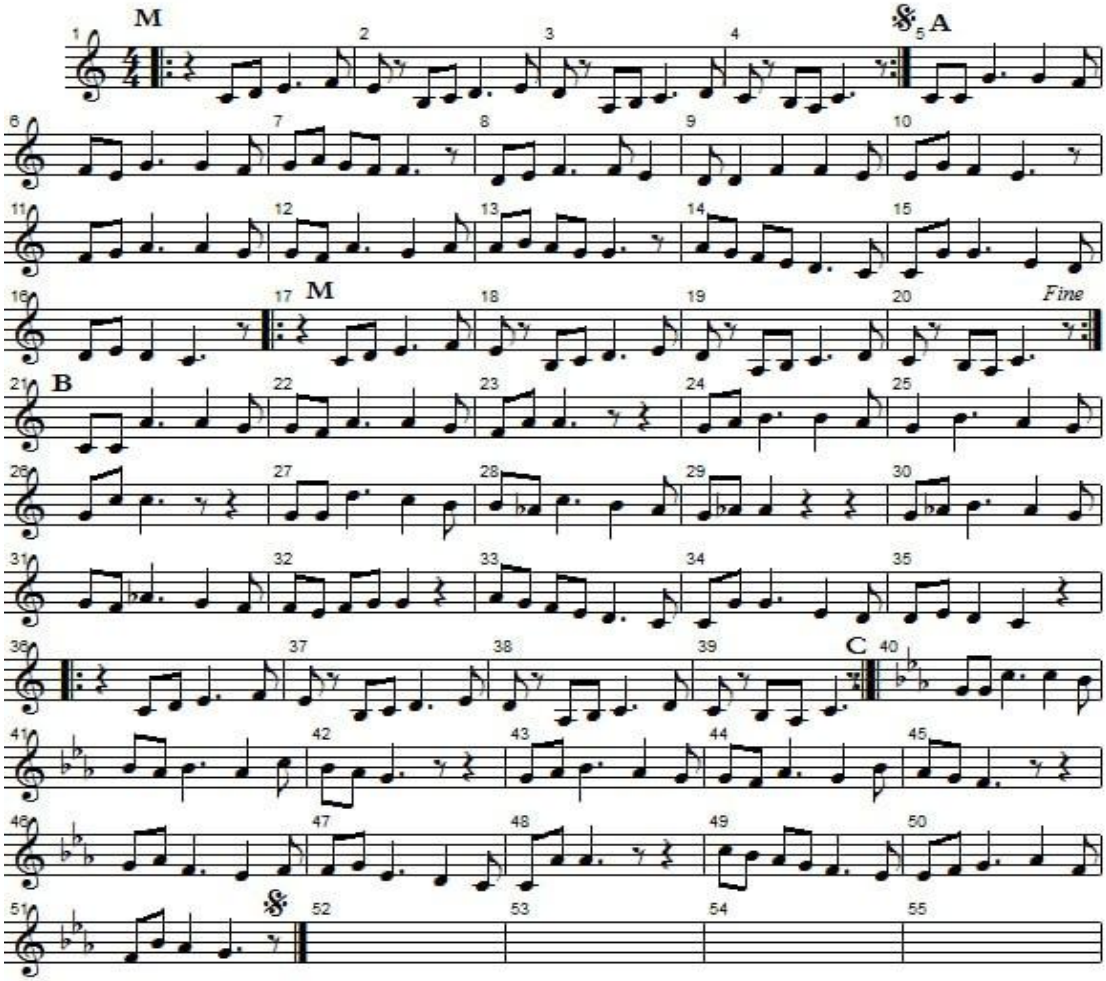

البطاقة التعريفية	
القالب	اغنية
المقام	تبريز
الميزان	٤/٤

الإيقاع	**هجع مصري**
أداء	**كورال**
الملحن	**روحي الخماش**
الشاعر	هشام كاظم الحلّي
السير اللحني	**MAMBMCAM**
الاجناس المستخدمة	**جنس عجم على الراست جنس عجم على النوا جنس نهاوند على الراست جنس حجاز على النوا**
السير النغمي	**تتابعات سلّمية صاعدة وهابطة قفزات نغمية متعددة**
ركوز العمل	**تام**
المساحة الصوتية	**اليكاه : المحير**

١_ تحليل البناء اللحني:

الفكرة Mم١:م٤: تبدأ الفكرة بعبارة موسيقية لم تتعدى جنس الأصل بأصوات بشرية بعمل همهمات تجسد روح الخشوع والتصوف حيث استخدم جنس عجم على الراست لمقام العمل تبريز مع غناء للازمة المقام كوشت ونغمة حسيني عشيران والركوز تام على الراست.

الفكرة Aم٥:م١٦: تتكون الفكرة من جملتين موسيقتين فالجملة الموسيقية الناقصة الأولى تبدأ من م٥:م١٠ بعمل تتابعات سلّمية هابطة وصاعدة مع وجود قفزات نغمية بسيطة وقد استخدم الملحن جنس العجم على الراست مع لمس لدرجتي النوا والحسيني والركوز مؤقت على البوسليك في م١٠، اما الجملة الموسيقية الثانية الناقصة تبدأ من م١١:م١٦ بعمل جنس العجم على النوا بتتابعات سلمية صاعدة وهابطة وبلحن بسيط لسهولة تطابق التقطيع العروضي للنص الشعري والاهتمام بالجانب الروحاني للإبتهال والركوز تام على الراست في م١٦.

الفكرة Mم١٧:م٢٠: أعاد الملحن الهمهمات الافتتاحية بوصفها لازمة موسيقية تربط بين المقاطع

الفكرة Bم٢١:م٣٥: تبدأ الجملة الموسيقية الناقصة الأولى من م٢١:م٢٦ بعمل جنس عجم على النوا بقفزات نغمية بسيطة والركوز تام على الكردان في م٢٦، أما الجملة الموسيقية المطولة الثانية فتبدأ من م٢٧:م٣٥ بعمل جنس حجاز على النوا مع الوصول لنغمة المحير في م٢٧ بعمل خامسة تامة والركوز تام على الراست في م٣٥.

الفكرة Mم٣٦:م٣٩: أعاد الملحن الهمهمات الافتتاحية بوصفها لازمة موسيقية تربط بين المقاطع

الفكرة Cم٤٠:م٥١: تتكون الفكرة من الجملة الموسيقية الناقصة الأولى م٤٠:م٤٥ بعمل جنش نهاوند على الجهاركاه بنغمات سلّمية صاعدة وهابطة مع استخدام قفزات نغمية بسيطة والركوز مؤقت على الجهاركاه في م٤٥، اما الجملة الثانية الناقصة م٤٦:م٥١ بعمل مقام نهاوند كردي على الراست بنغمات سلّمية صاعدة وهابطة مع عمل قفزات نغمية كسادسة صغيرة في م٤٨ والركوز مؤقت على النوا في م٥١ بعمل جنس كرد على النوا.

الختام : إعادة للفكرة A ثم إعادة للفكرة M والختام في م٢٠ والركوز تام.

٢_ تحليل النص الشعري:

يتكوّن نص الابتهال من مقاطع دُعائيّة ذات طابع تعبدي مباشر ويتميّز ببنية لغوية بسيطة تعتمد على أسلوب النداء والدعاء والتضرع إلى الله تعالى ويظهر ذلك من خلال تكرار النداء في عبارة (يا إله الكون) وهو أسلوب إنشائي يَعكُس حالة الخشوع والتضرع التي تُميز الابتهالات الدينية كما يعتمد النص على مفردات دينية واضحة كالصوم والإفطار والتوبة والهداية والنجاة من البلاء وتعكس هذه المفردات المعاني الروحية المرتبطة بشهر رمضان فضلاً عن وضوح التقطيع العروضي المنتظم الذي ساعد الملحن على صياغة اللحن بصورة متوازنة ومتجانسة مع الإيقاع.

٣_ البناء الايقاعي:

استخدم الملحن إيقاع هجع مصري الرباعي البسيط ويسهم هذا الإيقاع في إضفاء طابع هادئ ومتوازن يتناسب مع طبيعة الابتهال إذ ارتبط هذا الإيقاع بأغلب الأناشيد الدينية والابتهالات.

٤_ خلاصة:

يتضح من خلال التحليل أن البناء اللحني للابتهال يقوم على توازن واضح بين النص الديني والبنية المقامية إذ اعتمد الملحن على مقام العجم بوصفه المقام الرئيس مع إدخال بعض التحويلات المقامية المحدودة ويكشف هذا المسار عن اعتماد الملحن بنية مقامية متدرجة تبدأ بجنس العجم على الراست ثم جنس الفرع عجم على النوا ثم استخدام جنس حجاز النوا ثم استخدم مقام نهاوند كردي على الراست لإثراء البناء اللحني قبل العودة إلى مقام الأساس لتحقيق الاستقرار النغمي في نهاية العمل وهو أسلوب شائع في صياغة الألحان الدينية ذات الطابع الروحي، كما أسهم استخدام الهمهمات واللازمات الموسيقية في تعزيز الطابع الروحي للعمل إضافة الى استخدام إيقاع الهجع المصري المتخصص بالأعمال الإنشادية الدينية الأمر الذي جعله نموذجاً مميزاً للإنشاد الديني المرتبط بالطقوس الرمضانية في العراق.

الفصل الرابع
نتائج البحث

نتائج البحث:

١. أن الابتهال الرمضاني في العراق يُعدّ أحد أشكال الإنشاد الديني المرتبط بالطقوس التعبدية لشهر رمضان إذ يجمع بين الوظيفة الروحية والتعبير الفني ضمن سياق ثقافي خاص بالمجتمع العراقي.

٢. أظهرت نتائج البحث أن عدد الابتهالات الرمضانية العراقية التي بُثّت عبر وسائل الإعلام خلال فترة الخمسينات والستينات من القرن العشرين كان محدوداً.

٣. أسهمت الإذاعة والتلفزيون العراقيين في نقل الابتهال الرمضاني من فضائه الطقسي المحدود إلى نطاق جماهيري واسع.

٤. أن النص الإنشادي للابتهال يعتمد على لغة دعائية بسيطة قائمة على النداء والتضرع الأمر الذي يعزّز البُعد الروحي للنص ويجعله مناسباً للأداء الجماعي في الإنشاد الديني.

٥. اتضح من خلال تحليل عينة البحث (يا اله الكون) إن النسيج اللحني يقوم على مقام العجم (تبريز) وهو مقام يتميّز بالاستقرار والوضوح النغمي كذلك استخدام إيقاع الهجع المصري مما يجعله مناسباً للأعمال الإنشادية ذات الطابع الروحي مع إدخال تحويلات مقامية محدودة.

٦. استخدام الهمهمات اللحنية في بداية عينة البحث ونهايتها شكّل عنصراً بنائياً مهماً في الربط بين الجمل اللحنية وتعزيز الطابع التأملي للابتهال.

٧. أن وسائل الإعلام العراقية أدّت دوراً مهماً في حفظ هذا اللون الإنشادي ونقله عبر الأجيال مما أسهم في تعزيز حضوره بوصفه جزءاً من الهوية الثقافية والذاكرة الرمضانية للمجتمع العراقي.

الاستنتاجات:

١. يمثل الابتهال الرمضاني في العراق شكلاً من أشكال الإنشاد الديني المرتبط بالطقوس التعبدية لشهر رمضانويعكس بعداً روحياً وثقافياً متجذراً في المجتمع العراقي.

٢. أسهمت وسائل الإعلام العراقية (الإذاعة والتلفزيون) في نشر الابتهالات الرمضانية وتثبيت حضورها في الذاكرة السمعية والثقافية للمجتمع.

٣. يتّسم البناء الفني للابتهال الرمضاني في العراق بالاعتماد على المقام الموسيقي العربي والإيقاعات البسيطة بما ينسجم مع طبيعة النصوص الدعائية والإنشاد الديني.

٤. يسهم الابتهال الرمضاني بوصفه شكلاً من أشكال التراث السمعي في تعزيز الهوية الثقافية والدينية للمجتمع العراقي من خلال ارتباطه بالممارسة الطقسية لشهر رمضان وانتشاره عبر وسائل الإعلام.

التوصيات:

١. الاهتمام بتوثيق الابتهالات الرمضانية العراقية وحفظها في الأرشيفات الصوتية والمؤسسات الثقافية بوصفها جزءاً من التراث السمعي والديني في العراق.

٢. تشجيع الدراسات الأكاديمية التي تتناول الإنشاد الديني والابتهالات الرمضانية من الجوانب الموسيقية والثقافية والإعلامية لما لها من أهمية في حفظ الهوية الثقافية.

٣. تعزيز دور وسائل الإعلام المعاصرة في إعادة بث وتقديم هذا اللون الإنشادي بما يُسهم في استمراريته وانتقاله إلى الأجيال الجديدة.

المقترحات:

١. إجراء دراسات موسيقية تحليلية لأعمال الإنشاد الديني والابتهالات في العراق للكشف عن خصائصها المقامية والإيقاعية وأثرها في التراث الموسيقي العراقي.

٢. إعداد بحوث إعلامية متخصصة في دور الإذاعة والتلفزيون العراقي في توثيق ونشر التراث السمعي الديني خلال القرن العشرين.

٣. دراسة مقارنة بين الابتهالات الرمضانية في العراق ونظيراتها في البلدان العربية الأخرى لبيان الخصائص الفنية والثقافية المميزة لكل تجربة.

المصادر: اولاً: الكتب

Al-Aadthami, H. (2000). The Iraqi Maqam: Where To? baghdad: General Cultural Affairs House.
Al-Allaf, I. K. (2012). History of Iraqi Media. Mosul: Dar Ibn Al-Atheer for Printing and Publishing.
Al-Hamad, M. A.-H. (1998). Supplications and Remembrances in Islamic Heritage. cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.
Al-Kabir, A. A. (1988). Lisan al-Arab by Ibn Manzur (Vol. 11). CAIRO: Dar Al-Maaref.
Al-Nawawi, Y. i. (2004). Al-Adhkar. Beirut: Dar Ibn Hazm for Printing and Publishing.
Al-Rawi, N. (1981). Folk Art in Iraq. baghdad: Ministry of Culture and Information.
Al-Sayyid, A. (1989). The Art of Religious Ibtihal and Tawashih in Arabic Music. Dar Al-Maaref: دار المعارف.
Al-Wardi, A. (1969). Social Glimpses from the Modern History of Iraq. Baghdad: Al-Irshad Printing Press.
Azzi, A. (2010). Cultural Communication and Identity. Beirut: Arab Scientific Publishers.
Durkheim, É. (1995). The Elementary Forms of Religious Life. New York: Translated by Karen E. Fields.
Eliade, M. (1996). The Sacred and the Profane: The Nature of Religion. Morocco, المغرب: Afrique Orient Publishing.
JAN Assmann .(٢٠١٠) .Cultural Memory and Early Civilization .london: Cambridge University Press.
Jan Assmann .(٢٠١١) .Cultural Memory and Early Civilization .london: Cambridge University Press.
McQuail, D. (2010). Mass Communication Theory. London: Sage Publications.
Mekkawi, H. E. (2009). Media Theories. cairo: Arab House for Publishing and Distribution.
Mohammed, H. S. (2011). Dictionary of Media Terminology. Amman: Osama Publishing and Distribution House.
Said, E. (1997). Culture and Imperialism. Beirut: Arab Research Foundation.
Turner Victor .(١٩٦٩) .Structure and Anti-Structur .london: Structure and Anti-Structure. Aldine.
Zayed, A. (2006). Dictionary of Social Science Terms. Cairo. Cairo: Center for Social Research and Studies.